الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم:9 التأويلية عند هنس جورج قدمير

1- التعريف بهنس جورج قدمير:

جورج جادامير بالإنجليزية Hans-Georg Gadamer فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ، 11 فبراير1900 اشتهر بعمله الشهير، الحقيقة و المنهج وأيضا بتجديده في نظرية تفسيرية (الهرمنيوطيقا) وقد توفي في هايدلبرغ، 13 مارس2002 .

ولد هانز جورج جادامير في ماربورغ بألمانيا و درس في فروتسواف ولكنه سرعان ما عاد إلى ماربورغ للدراسة مع الفلاسفة الكانطيين الجدد بول نتروب ونيكولاي هارتمان، والذين تتلمذ على يدهم حتى حصل على الدكتوراه سنة 1922 بعمل قدمه عن أفلاطون جوهر المتعة في حوارات أفلاطون.

وبعد فترة وجيزة، قام جادامير بزيارة فرايبورغ ودرس مع مارتن هايدغر، والذي لم يصل آنذاك إلى الأستاذية حيث كان مدرسا مساعدا، وبفضل هايدغر، فقد أدرج اسم جادامير في مجموعة من الطلاب والذين برزوا فكريا فيما بعد، ومن بينهم ليو شتراوس وكارل لوث وحنة آرندت، وأصبحت علاقة الصداقة بين هايدغر وجادامير وثيقة حتى أنه عندما شغل هايدغر منصبا هاما في ماربورغ، اختار جادامير أن يتبعه هناك، وكان من المحتمل أن يكون التأثير القوي لهايدغر على فكر جادامير تأثيرا ذو طابع خاص، والذي بدوره قد أسهم بدرجة كبيرة على تشكيل فكره. بالإضافة إلى أنه أسهم بشكل فعال في انفصال جادامير عن تيارات الكانطيين الجدد التي كانت قد تشكلت منذ فترة طويلة.

وقد قدم جادامير شهادة التأهيل لدرجة الأستاذية عام 1929، وقام بالتدريس في ماربورغ خلال السنوات الأولى من الثلاثينات (1930) من القرن العشرين. وخلافا لهايدغر، فإن جادامير كان دائم الرفض للنازية، حيث يمكن اعتباره وبشكل علني ضد النازية. ولم يشغل جادامير أي منصب ملموس خلال سنوات الحكم النازي، وبالمثل لم ينضم لأي حزب إلا في نهاية الحرب عندما شغل منصبا في لايبزيغ. وفي عام 1946، وبعد انتهاء الحرب ونظرا لاعتباره شخصية لم تلوث بعد من قبل النظام النازي، استطاع جادامير أن يشغل منصب رئيس جامعة لايبزيغ .ولم يظهر جادامير فقط معارضته للنازية فحسب، إلا أنه أيضا ومع ميلاد الجمهورية الألمانية الديمقراطية أبدى معارضته الشديدة لنظام الشيوعية .وهذا ما دفعه إلى الانتقال إلى جمهورية ألمانيا الإتحادية حيث القبول المبدئي لشغل منصب في فرانكفورت أم ماين، ثم حل بعد ذلك محل كارل ياسبرس في هايدلبرغ عام 1949، وكان هذا هو المنصب الذي شغله حتى وفاته عام 2002.

وطوال هذه الفترة، أكمل جادامير عمله الشهير الحقيقة والمنهج الذي نشر عام 1960، والذي أضاف له الجزء الثاني أيضا عام 1986. وقد اشترك في المناظرة الشهيرة مع يورغن هابرماس حول إمكانية التفوق التاريخي والثقافي بحثا عن الحالة الاجتماعية التي شكلها التفكير النقدي. ولم تنته المناظرة أبدا بضربة قاضية لأي منهما بل أنها كانت بداية لصداقة حارة بين جادامير وهابرماس، بالإضافة إلى أن جادامير سهل الطريق لهابرماس لإمكانية انضمامه للوسط الأكاديمي بمساندته له في شغل منصب أستاذ في هايدلبرغ. وكان هنالك محاولة مشابهه آخرى من جاك دريدا ولكنها لم تكن على المستوى المطلوب حيث أن كلا المفكرين كان لديهم القليل من النقاط المشتركة. وارتأى دريدا أن خطأه في عدم إيجاد نقاط بحث أساسية مشتركة بينه وبين جادامير يعد أكبر كارثة في حياته الفكرية. وأعرب في النعي الذي خصصه لجادمير عن إعجابه واحترامه الشديد للمفكر الألماني.

2- التأويلية عند قدمير:

استند الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير (H.G.Gadamer) إلى مرجعيات ثقافية، وآراء فلسفية امتدَّت جذورها إلى الفلاسفة اليونانيِّين الأوائل، وفي مقدِّمتهم أرسطو؛ نظرًا لأسبقيتهم زمنيًّا في مناقشة قضايا التَّأويل والفهم والفنِّ والفلسفة، حيث استنطق تراثهم القديم، واستوحى آثارهم التَّليدة، واكتسب منها الخبرة الإبستمولوجية المتعلقة بالتَّأويل.

واعتمد غادامير في مفاهيم التأويل على المنظومات المعرفية الآتية:

1- الفهم التاريخي.

2- إقصاء الذات؛ وهنا يرى غادامير أن النص ينعزل عن منتجه, فيصبح قائمًا بذاته, مستقلاً عن مبدعه عند الشُّروع في تأويله مباشرة.

وحدَّد غادامير ثلاث دوائر تختصر آليَّات التأويل عنده، وتحدَّد الخطوات المتتاليَّة في القراءة، وتتمثَّل في: 1- الدَّائرة الجمالية.

2- الدَّائرة التاريخية.

3- الدَّائرة اللغوية؛ وتُعدُّ هذه الأخيرة دائرة التأويل بامتياز، إذ اللغة هي الوسط الذي تجري فيه عملية الفهم والإفهام. وعمومًا طمح غادمير إلى إرساء مبادئ فلسفية لنظريَّة التأويليَّة، التي لا تعرف حدودا نهائية؛ لذا كانت دراساته في هذا المبحث الهامِّ سبقًا فلسفيًّا، وفتحًا معرفيًّا جديدًا، لاسيما لأصحاب نظريَّة القراءة، وجمالية الاستقبال، الذين استفادوا من تلك الأبحاث في التأويلية غاية الاستفادة.

تنبثق مشروعية الحديث عن مفهوم التأويل لدى غادامير ليس باعتباره السند المرجعي لفهم نظرية التلقي لدى ياوس أو فهم فلسفة التواصل لدى "K.O.Apel" على سبيل المثال. بل، لفهم فكر ما بعد الحداثة" الذي لم يعد يعترف بأية مصادر أخرى غير حركية التأويل.

لقد قدم غادامير التأويل في إطار مشروع فلسفي أنطلوجي وهيرمينوطيقي، يتسم بالصراع والسجال الفلسفيين على أكثر من واجهة : بدءا من انتقاد المنهجية في العلم الحديث من جهة، وانتقاد الوعيين الجمالي والتأريخي من جهة أخرى، وانتهاء بالسجال التاريخي المعروف مع "الفلسفة النقدية في شخص هابرماس سعيا نحو حل مشكل أساس العلوم الإنسانية ؛ عبر قراءة "تطبيقية" للأوليات التي وجدها لدى هايدغر في دائرتي الفهم والتأويل الأنطولوجيتين المؤسستين لـ "للوجود في العالم".

وفي الواقع، لم يكتف غادامير بقراءة تأملات وتأويلات هايدغر لـ "الدازين" "Da-sein" أو لـ "الوجود في العالم" في زمانيتهما التاريخية . بقدر ما عمل على خلق استراتيجية ثلاثية للتأويل ضمن دوائر تكشف عن غنى مرجعيته الفلسفية، إذ يمكن العودة بها إلى الفلسفة اليونانية والكانطية والهيجلية والكانطية الجديدة والرومانسية (رومانسية شلير ماخر وديلتي) وهكذا يتعلق الأمر بالدائرة الجمالية والتاريخية واللغوية وهي، في نهاية المطاف، دوائر تحيل على الأجزاء الثلاثة المكونة لـ "vérité et méthode" في احتوائها للتجربة الهيرمينوطيقية في سعيها لإعادة الإعتبار للحكم المسبق وللتراث وللسلطة وطموحها إلى الشمولية.

وبناء على هذا التعدد المرجعي، الذي أبان غادامير عن تمثله له باعتماد "مبدأ التوليفات" (كما عاينا ذلك على مستوى عنوان كتابه الذي يعد محاولة للربط أو عدم الربط بين الحقيقة بمعناها الهايدجري والمنهج بمعناه الديلثايي)، وجدنا أنفسنا أمام مفهوم للتأويل يتعذر الإلمام به في دراسة من هذا الحجم لسببين، أولهما : أن التأويل يستلزم تحليل "جهاز" من المفاهيم المتنوعة وغير المعتادة بالنسبة للقارئ. اللهم، إلا إذا كان يندرج ضمن خانة ما يعرف ب "القراء المخبرين " ثانيهما : وهو الأخطر في ارتباطه عامة بعمق تصور غادامير نفسه للفلسفة –عدم خضوع التأويل –لديه– لأية معايير عامة : منهجية أو تقنية أو مذهبية "دوغمائية" . كما هو الشأن – مثلا– لدى الإيطالي "G.Betti" أو لدى المدارس التأويلية الكبرى.

وهكذا، ولأجل تقليص ألم وعينا بالمسافة الشاسعة التي يعطيها التأويل سنحاول –منهجيا– اعتماد الدوائر الثلاث كأدوات للتوسط في مقاربة مفهوم التأويل "الكادامري".

الدائرة الجمالية باعتبارها محاولة إحلال الجمالي في الهيرمينو–تاريخي:

تطرح الدائرة الجمالية، مفهوم التأويل ضمن مجموعة من القضايا. أهمها على الإطلاق، قضية استخلاص مسألة "الحقيقة" من مجال تجربة الفن من جهة. ومحاولة إحلال الجمالي في الهيرمينو–تاريخي من جهة أخرى.

ففي القضية الأولى، يضطلع التأويل بوظيفة إبستيمولوجية تم تطويعها من قبل غادامير لخدمة مشروعه الفلسفي ككل، أي تقديم "الهيرمينوطيقا" عوضا عن المنهج العلمي، لفهم العلوم الإنسانية في ماهيتها. وهو ما يمكن أن نختزله على غرار بورديو في فهم الفهم ".

وفي ارتباط التأويل بالقضية الثانية، يضطلع بوظيفة نصية كشفية للحقيقة المجسدة في تجربة العمل الفني والأدبي بغية دمجه في سياقه التاريخي المحدد لبعده الجمالي الأصيل .

وكما هو معلوم، فمشكل "الحقيقة" يعتبر محور البحث الفلسفي بامتياز، وإليه يعود الفضل في ظهور الأنساق الفلسفية الكبرى، يختلف تصورها وبحثها عن "الحقيقة" باختلاف مفاهيمها وأدواتها الإجرائية والمعرفية التي يتم تطويعها لخدمة ذلك البحث.

وبناء على ذلك، نرى بأن الطريق الذي نهجه غادامير لاستخلاص مسألة "الحقيقة، لم يكن عبر :

–العلم، لأنه ينتقد منهجيته الحديثة التي تدعي الإنفراد بميزة التأويل الصحيح للحقيقة وللكون.

– الفلسفة، لأنه يواجه فيها الوعيين الجمالي والتأريخي مواجهة شديدة. وهكذا، فالأول يكرس حكما جماليا يكتفي بتأمل و تذوق العمل الفني في مظهره الشكلي الصرف. مما جعل حكمه يجرد هذا العمل من وظيفته الجمالية والتاريخية التي تكمن أساسا في تأثيره التاريخي على وعي الذات المؤولة والثاني –الوعي التأريخي– يجرد العمل الفني من تاريخيته الخاصة في الماضي وتعميق اغتراب غيريته في الحاضر، باسم الموضوعية التاريخانية" التي يعتقد المؤرخ تبنيها في اتخاذه مسافة نقدية إزاء الماضي.

وبناء عليه، ينطلق غادامير من مجال الفن بمعناه الأنثروبولوجي الواسع – لاستخلاص مسألة الحقيقة. حيث يعيش الإنسان عبر تأثره بحواره مع العمل الفني، تجربة الحقيقة بكل أبعادها دينية، فلسفية، اجتماعية، احتفالية طقوسية، أي، الحقيقة التي تتجاوز أساسا حقائق المعرفة المنهجية.

وما مواجهة غادامير للمنهجية في العلم الحديث، في كتابه ككل، وللوعيين الجمالي والتأريخي، في الجزء الأول فقط، إلا "من أجل إظهار الخاصية التاريخية المحددة لكل تجربة جمالية. حتى ولو أدى به الأمر إلى اختزال التجربة الجمالية في التجربة التاريخية".

المراجع:

–ينظر: سيدي عمر عبود: مفهوم التأويل لدى كادامير، موقع سعيد بنكراد(مقال متاح على النت)http://www.saidbengrad.net/al/n14/5.htm

–ينظر: كتاب: هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل(الأصول، المبادئ، الأهداف)

– ينظر: كتاب: هشام معافة: التأويلية و الفن عند هانس جيورج غادامير